

قصة القصر الكبير " باجودة " بعين صالح
Kasbah of the grand palace – Badjouda – in Ain
Salah

أ.محمد مزراق

المركز الجامعي لتامنغست (الجزائر)

mohamedmezreg@yahoo.fr

الملخص:

تعتبر عمارة القصبات من بين العماثر التي تميزت بها اقاليم توات الكبرى بالجنوب الجزائري واشتهرت بها، فشهدت هذه القصبات عبر مسارها التاريخي أحداثا عديدة ظلت مرتبطة بالدور والوظيفة التي شيدت من أجلهما. فنحاول في هذا البحث أن نتعرف على النمط العمراني لهذه القصبات من خلال قصة القصر الكبير – باجودة- بإقليم عين صالح باعتبارها من النماذج التي ظلت شاهدة على العصر، وذلك بالتعرف على بيئتها وتاريخها وأسس تخطيطها ومواد انشاءها ودورها ووظيفتها وتفصيل عمارتها وأهم العناصر المعمارية المكونة لها.

الكلمات المفتاحية:

قصة، باجودة، تيديكلت، البيئة الصجراوية، عين صالح، حفرة الركب.

Summary:

The Kasbahs is one of among architectures which distinguished the regions of Biggest Tawat in south Algeria. Along its historical trajectory, these Kasbahs witnessed various events, which remained pertinent to their indented role and function. This research aimed to recognize the Kasbahs architecture types, through Kasbah of the grand palace – Badjouda – in Ain Salah region as a model, considering them as witnesses of the age, By identifying their environment, their history, the basis of their planning, the materials of their creation, their role, their function, the details of their architecture and the most important elements of their architectural structure.

keywords: Kasbah, Badjouda, Tidiket, The desert environment, Ain Salah, Hafret Rakeb.

=====

مقدمة

خلفت لنا البيئة الصحراوية خلال الفترة الوسيطة والحديثة العديد من الآثار المعمارية التي تعود إلى فترات مختلفة من تاريخ انتشار الحضارة الإسلامية في الصحراء الكبرى وفي باقي مناطق العالم، فقد تركت بصماتها واضحة وجلية من خلال المباني التي نفذت بتخطيطها المحكم ولا سيما العمارة الدينية والمدنية والعسكرية، فما زالت بعض المدن الواقعة في الصحراء الكبرى تزخر بنماذج معتبرة من هذه المعالم كعمارة القصور والقصبات المحصنة على غرار مدن واد ريغ ووادي ميزاب ووادي الساورة ومدن أقاليم توات الثلاث.

وتعتبر النماذج العمرانية لهذه المناطق احد الشواهد الحية الباقية التي تدل على تكيفها مع العوامل المختلفة للبيئات المحلية التي كانت لها تأثيرات مختلفة على العماير وتصميماتها وتنفيذ مخططاتها. وظلّ هذا الأسلوب متبعا في تصميم العمارة المحلية الى زمن متأخر حيث تغيرت بعض المعطيات البيئية والاساليب التقنية مما جعل المعماري مجبرا على تغيير أسلوب وطريقة البناء كله ومادة صناعته واستمرار صناعة البناء.

فقد كان من ضمن المعالم المدنية الهامة التي جسدت لنا ثقافة الانسان وتطور فكره ومبانيه العمرانية " قصبة القصر الكبير بعين صالح" (الصورة رقم 01) الذي ما زال طابعها الأصلي شاهدا على مرحلة من مراحل البناء الحضاري التي مرت بها احدى حواضر جنوب بلاد الجزائر، حيث اصبح ذلك من بين معالم التراث المعماري والفني النفيس والرصيد الحضاري الذي باتت ضرورة دراسته والمحافظة عليه خاصة واننا نلحظ حالته اليوم أصبحت في تدهور مستمر مع ندرة الدراسات العلمية المتخصصة اذا ما استثنينا الدراسات المتأخرة والاشارات الطفيفة في بعض التقارير العسكرية الفرنسية التي تعود الى زمن الاحتلال.

ويطرح لنا موضوع عمارة القصبات بالصحراء عموما ويقصور تيديكلت الشرقية خصوصا إشكالية عميقة تتمحور في أهمية هذا النمط من القصبات بالمنطقة ومدى العلاقة الموجودة بين عمارة القصبات والدور والوظيفة التي شيدت من أجلها؟

وكما هو معلوم فقد ظهر لنا نوعان من القصبات في المناطق والاقاليم الصحراوية ولكل لها ميزتها وخصائصها جعلتها تصنف ضمن انماط جديدة ، كما نلاحظ ان هذه الانماط الجديدة تختلف عن غيرها من النماذج التي ألفناها بمفهوم القصبه النواة رغم تداول المصطلح ذاته. وهذا ما يثير تساؤلات اخرى في ان ذلك يعود الى تطور تقني ام الى الظروف والحاجة البيئية للاهتمام الى هذا الشكل في تصميمه الجديد. وعن العوامل التي جعلت المعماري يختار التصميم والتخطيط والتفاصيل المعمارية والجمالية الانسب في هذه العمارة الصحراوية..

وانطلاقا من هذه الاشكالية اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي حيث استعنت بالروايات المتواترة والنصوص التاريخية والعمل في الميدان لوصف وتحليل المعطيات الأثرية من خلال لملاحظة والمقابلة واخذ الصور الفوتوغرافية والاستعانة ببعض الكتب والرسائل والمواقع الالكترونية اضافة الى اعتماد بعض المخططات وقسمته الى محاور للدراسة موزعة كالآتي:

في المحور الاول تناولت فيه التعريف بالقصر والقصبه الصحراوية للوقوف على تحديد لفظ القصبه والقصر بالإقليم في اللغة والاصطلاح.

في المحور الثاني تناولت فيه تاريخ وموقع قصبه باجوده.

في المحور الثالث وتناولت فيه الدراسة الوصفية والتحليلية للقصبه ولأهم العناصر المعمارية التي تشكل مبنى القصبه.

في المحور الرابع دور القصبه من خلال التحصين الدفاعي لها

1 | التعريف بالقصر والقصبه الصحراوية:

عرف ابن منظور القصبه: جوف القصر وقيل القصر، وقصبه البلاد مدينته، والقصبه هي جوف الحصن حيث يبني فيه بناء وهو أوسطه ، والقصبه تعني القرية أيضا، وقصبه القرية هي وسطها¹.

ويقصد من تسمية القصر أو لُقْصَر **lagsar** في مناطق الأطلس وكافة المناطق الصحراوية هي تلك التكتلات السكنية التي تقع فوق أماكن مرتفعة²، و قريبة

من الأودية . ويطلق هذا اللفظ أيضا على الكتل البنائية التي نجدها في مناطق الصحراء مُجمعة ومشكلة لنا أحياء وقرى تدعى بـ (لقصور lagssour)³ .

ونجد هذا اللفظ مرة أخرى يطلق أيضا على الكتل المعمارية القريبة من الواحات والمجاري المائية مثل قصور وادي الساورة ووادي مقيدون ووادي ميزاب ووادي ريغ والزيبان في صحراء الجزائر⁴ .

ويحدد لنا هذا المفهوم بمنطقة الدراسة مختلف التكتلات المعمارية المشكلة للإقليم مثل قصر العرب وقصر المرابطين بعين صالح والقصر الفوقاني والقصر التحتاني بقرية الساهلة في شمال مدينة عين صالح. فالقصر إذا في المنطقة الصحراوية هو عبارة عن تجمع سكاني يشكل لنا ناحية أو بلدة تضم مجموعة من العمار، تتمثل في المباني السكنية والواحات والقصبات وموارد السقاية⁵ .

أما لفظ القصبية في المنطقة الصحراوية فتطلق عموماً على تلك المباني المحصنة بالأسوار المرتفعة والأبراج العالية في الزوايا الأربعة للبنية والمداخل الكبيرة حيث تأخذ بهذا الشكل مباني دفاعية عن أي هجوم محتمل.

وقد ظهر هذا الشكل من المباني المعمارية على مستوى الشريط الغربي للصحراء الجزائرية الذي يمتد من تيلكورة إلى عين صالح ، فقد بدت بصماتها واضحة كشواهد مادية تشهد عن قمة بلوغ وتطور فكر المعماري وفن العمران خلال هذه الفترة من جهة، ونمط بناء القصبات التي لازلت شامخة الى اليوم⁶ من جهة ثانية. وهنا نشير ب الى أن الكثير من تفرغات أشكال هذه الأبنية عرفت من ذي قبل في العالم الإسلامي وعرفت باسم القصور ويعود ظهورها إلى العصر الأموي بمصر والشام⁽⁷⁾ .

وظل مصطلح " قصبية " اسماً متداولاً في مختلف مناطق الإقليم ، فيطلق على ذلك التكتل البنائي الذي يقع في قلب المدينة ، كما يطلق أحيانا على بناية منفردة عن الكتلة العمرانية⁸ .

وقد ظهرت منذ نشأة الإقليم هذه النماذج من العمار وكان ذلك تجاوبا مع البيئية وعواملها المؤثرة في التفرغات العمرانية ، فانتشر عمران القصبات في كافة الواحات والقصور بالإقليم، فمما يلاحظ من الشواهد الباقية أنه لا تكاد تخلو أية واحة أو

قصر من قصبة أو اثنتين على الأقل ، نظرا لأهميتها والدور والوظيفة المنوط بها ، حيث أن القصبة كانت تمثل حين ذاك بالنسبة للسكان من أبناء القبيلة الواحدة، اللحمية أو العصبية التي تتفخر بها، فهي بمثابة المسكن والمعلم الذي يحمل اسمها والحصن الذي يختبئ فيه الناس حين حدوث الغارات من طرف الغزاة.

ومما تجذر الإشارة إليه بأن القصبة المحصنة لم تحوي معنى القرية أو المدينة في هذا الاقليم وذلك راجع الى أنها تفتقر إلى عناصر هامة ورئيسة وهي المسجد والسوق والساحة العامة ، وهذه ميزة انفردت بها كخصوصية على القصبة النواة في الكتلة العمرانية من جهة وعلى غرار ما عايناه في القسم الغربي من إقليم تيديكلت من جهة ثانية حيث هذا النمط الاخير من القصبات يمكن أن نطلق عليها لفظ القرية أو المدينة وذلك لتوفر العناصر السالفة الذكر.

ولذلك جاءت القصبة في هذا الإقليم بمعنيين اثنين وهما⁹ :

المعنى الاول: تجمع لسكنات اجتماعية محصنة بالجدران يسكن بيوتها

مختلف القبائل و الاعراش و هي بمثابة حي.

المعنى الثاني: تجمع سكاني داخل بناية موحدة محاطة بسور ضخم عال

وتملكها اسرة واحدة او قبيلة قائمة على نظام الأبوة .

II موقع وتاريخ القصبة:

تقع قصبة باجودة في وسط مدينة عين صالح ضمن التكتل المعماري

للمنشآت المركزية وهي السوق العتيق¹⁰ ومسجد وسط المدينة، وحفرة الركب¹¹

وتتمركز قصبة باجودة في منتصف اكبر قصرين بتيديكلت الشرقية وهما

قصر العرب الكبير من الجهة الشمالية وقصر المرابطين من الجهة الجنوبية ويعتبر

هذان الاخيران من اكبر الكتل المعمارية بالناحية ، كما تشرف القصبة من الجهة

الغربية على واحات المقاطعة وعلى قصر البركة اما من الجهة الشرقية فهي تشرف

على عمران الفقارة للكتلة المعمارية.

وقد ورد ذكر قصبة باجودة مفردة ومع مجموعة القصور والقصبات بالأقاليم

وذلك في الكثير من النصوص التاريخية العربية منها والاجنبية ، حيث جاء ذكرها في

تقارير القادة العسكريون¹² وذلك اثناء احتلالهم للمنطقة وكان ذلك على وجه الخصوص حينما اختارتها القوات الفرنسية مقراً لها لتسيير عملياتها التوسعية وسجناً لأسرى معركة الدغامشة والرافضين للتواجد الاستعماري بالمنطقة.

وجاءت الاشارة إليها أيضا في خريطة صحراء الجزائر - توات تيديكلت القورارة - باسم قصبه اولاد باجودة¹³.

كما وردت الاشارة اليها ضمن اسماء المدن والقصور القديمة لإقليم توات¹⁴ حيث صنفت مع قصور عين صالح وهي: اولاد المختار، اولاد باجودة، اولاد بلقاسم، اولاد الحاج، زاوية الماء البركة، حاسي الحجر، اقسطن، الساهلة، مليانة، فقارة الزوى....

تعتبر قصبه اولاد باجودة من ضمن القصبات الكبيرة التي يعود بناءها إلى حوالي خمسة قرون من طرف باجودة واخوته¹⁵، واشترك في بناءها جماعة المسلمين من سكان المنطقة¹⁶.

وتفيدنا الذاكرة الجماعية بان هذه القصبه كانت مكونة من بناية مرتفعة الاسوار بمقاس ارتفاع طابقين وبها اربعة ابراج في الأركان، كما كانت تحتوي على بوابة واحدة أما مساحتها الداخلية فهي جد معتبرة، وبداخلها تحتوي علي بيوت صغيرة تملا دائماً بالمؤن كما حفر بها بئران بوسط فناء الحصن، وأما المساكن فهي غير متاخمة لها ولا ملتصقة بها ولا يوجد بها خنادق ولا أي عنصر معماري يؤدي وظيفتها من هذا القبيل وظلت على ذلك الحال حتى احتلال المنطقة¹⁷.

وغداة احتلال الفرنسيين لمدينة عين صالح بتاريخ 04 جانفي 1900، اختار القادة العسكريون المنشأة الأهم بموقعها الاستراتيجي وعمارته الحصينة، وهي القصبه المحصنة المسماة بقصبه باجودة بوسط عاصمة الاقليم كمقر لتسيير شؤون الادارة العسكرية ومرصدا لمراقبة تحركات السكان ومكانا لسجن المقاومين¹⁸.

وبعد أن تم الاستيلاء على القصبه قام جنود الاحتلال بتخريب مخازن الحبوب والتمور ثم قرروا بناء فندق في القصبه وكان المخطط يرمي إلى تدمير الكامل

للبناية القديمة . ولم يعد من حينذاك للعائلة سوى المحافظة على الجدران الخارجية التي توجد عليه إلى اليوم¹⁹ .

كان مدخلها الرئيسي يشرف على الجهة الشمالية وبيفتح على السوق وفندق وسط المدينة الحالي وهو الأمر الذي يتضح في ضوءه أن هذه القصبية تعد من القصبات التي تم تشييدها في المنطقة بدافع الحاجة للسكان وتمثل في الأمن الغذائي وأمن الأنفس ، وقد تجسد ذلك في شكل المبنى العام وتفصيله المعمارية حيث كان المبنى مهياً لترقب وإبعاد البلاء عنهم وعن البلاد ، و تكرر ذلك في التموقع والمخطط والشكل العام والوظيفة التي أسندت له والمهمة التي شيدت من أجلها.

فنفذ بناء هذه القصبية على ريوه تعلو ما حولها وتظهرها بارزة من مسافة بعيدة وتمكنها من رصد الوافد إلى القصر والمغادر له وذلك من خلال أبراج المراقبة الموجودة في أركانه الأربعة هذا فضلا عن خصوصية التخطيط الفريد الذي صممت به داخليا حيث كانت مزدانة بمجموعة من الغرف والأروقة لجمع الغلة والخراج ولتحصين الناس أثناء نشوب أي اعتداء خارجي.

وانطلاقا من هذا التحصين المنيع أصبحت قصبية باجودة احد الاستحكامات العسكرية المنشأة للقيام بوظيفة المرصد الدفاعي والقاعدة المحصنة في مواجهة الأخطار التي تستهدف المنطقة وساكنيها في اقليم تيديكالت الشرقية.

وشيدت القصبية كبقية المنشآت المعمارية القديمة بإقليم تيديكالت الشرقية من مادة الطوب الذي يعرف جيولوجيا باسم اللين حيث تنتشر مطامر التربة الطينية بأنواعها المختلفة الألوان والاستعمالات.

III وصف القصبية:

تمتد قصبية باجودة من الشمال إلى الجنوب على شكل مربع يبلغ طول قاعدتها حوالي 90 م وتقدر مساحتها بـ 1800م² ، ويوصل إلى داخل القصبية من المدخل الرئيسي الشمالي إلى ساحة مكشوفة على امتداد الأسوار المحيطة ، وتتوسطها كتلة معمارية مشكلة من مجموعة من الغرف والأروقة بأشكال مختلفة ، وجاءت الأروقة متساوية في طولها التي تتحكم فيه اعمدة السقف شأنها في ذلك مثيلاتها من القصبات

المشيده في البيئه الصحراوية التي تتوفر على نفس العوامل البيئية (الصورة رقم 06)، وعلى غرار ذلك جاءت جدرانها بسيطة في الفن الزخرفي باستثناء بعض العناصر المعمارية الجمالية.

وتتوسط هذه الكتلة المعمارية بدورها فناء داخلي تطل عليه فتحات الغرف والأروقة إلى جانب السلم المؤدي إلى سطح الكتلة المعمارية للقصبية (الصورة رقم 04).

IV العناصر المعمارية:

1. **المدخل:** ازدانت القصبية بأبرز العناصر المعمارية التي عم استعمالها في مختلف المنشآت المعمارية بالإقليم وكان ذلك في العمارة العسكرية والمدنية والدينية حيث لم يبق من هذه النماذج الشاهدة التي حافظت على طابعها الاصيل الا القليل منها وكان اهمها المدخل الرئيسي للقصبية الذي جاء بسيطاً في فن عمارته ومواد بناءه رغم ما يكتسبه المعلم من أهمية بالغة الاثر في الجوانب السياسية والإدارية والاجتماعية في ما قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه (الصورة رقم 02 و 03) و (الشكل رقم 02).

ومما يلحظ أن هذه المداخل ميزت اغلب القصبات وقصور الصحراء الوسطى ومنها على الخصوص مداخل قصور اقليم توات واقليم القورارة حيث نجدها تتميز بطول ارتفاع السور وبروزه قليلا نحو الخارج ونحو الداخل وبقاعدة تتعدى في اغلب الاحيان 1.5 متر، والظاهر ان بروز المداخل يبدو تقليدا ظهر في الحضارات الشرقية القديمة²⁰، وظل استعماله في العمارة الاسلامية الشرقية والمغربية²¹.

وتوجد بالقصبية أيضا مداخل اخرى ذات اهمية وهي مخصصة للسقائف المختلفة الوظائف فقد جاءت اغلبها بعقد نصف دائري ولا تحتوي على أي نوع من الزخارف الجمالية (الصورة رقم 04).

2. **العقود:** ميزت العمارة الاسلامية في الاقاليم الصحراوية الوسطى استعمال نوعا من العقود تمثل ففي العقد نصف دائري، وظهر استخدامه في مختلف الأماكن فنجد في المداخل الرئيسية للقصبات والقصور وفي مداخل المدينة وفي ابواب

الغرف وفي الفتحات الكبرى التي تفصل بين الأواوين والغرف والأروقة (الصورة رقم 02) و(الشكل رقم 02)

وجدير بالذكر أن نشير هنا بأن الاقبال على هذا النموذج من العقود كان كبيراً في عمران المساكن وفي عمارة القصور وفي عمارة المساجد والمنشآت العسكرية أيضاً فقد عمل به المعماري في المناطق الصحراوية نظراً لمتطلبات البيئة المحلية والدواعي المناخية وتطور الفكر المعماري. ونلاحظ ذلك في توسعة الغرف والأروقة إلى غرف أوسع (سوري)، وفي توسعة أروقة المساجد (الصورة رقم 01 و02 والشكل رقم 02)

3. **الفتحات:** تظهر لنا من خلال الواجهة الخارجية فتحات متتالية على طول السور المحيط بالمبنى وهي عبارة عن فتحات للقتال تستغل للدفاع في حالة أي اعتداء محتمل أو مفاجئ، وتوجد أيضاً فتحات أخرى على مستوى الابراج صممت لنفس الوظيفة (الصورة رقم 10).

4. **الاعمدة:** ظهر في عمارة القصبية نوع الاعمدة التي اعتيد استعماله في الصحراء الوسطى ولا سيما في صحراء التربة الطينية، وجاءت هذه الاعمدة عبارة عن ابدان بسيطة البناء متعددة الاشكال والمقاسات منها الأبدان ذات القاعدة المربعة ومنها الأبدان المستطيلة ويبدو تنفيذ هذه الأشكال توافقا مع الدواعي البيئية وتماشياً ووظيفة العنصر المعماري التي يقوم بها، ومن الجانب الفني جاءت تنقير إلى الزخارف والتيجان والذوق الجمالي واما مواد البناء فكانت من مواد محلية خالصة باستعمال مادة الطين والطوب المجفف وبنسبة اقي، واستعملت الاعمدة في رفع محامل السقف والاقواس والمداخل الرئيسية ومداخل الغرف والأروقة (الصورة رقم 05).

5. **السقف:** استخدم بالقصبية لتغطية الفراغات - كغيرها من المنشآت المعمارية في البيئة الصحراوية الوسطى - السقف خشب النخيل التي تتوفر عليه البيئة المحلية الذي يتميز بالاستواء وسهولة التصنيع، وقد سقفت به اغلب الغرف والسقائف والأروقة والممرات، ويتركب هذا السقف من روافد خشبية مهياً على شكل مثلثات طولية او اسطوانية يوضع فوقها مرواح النخيل واغصانها وتثبت بالطين المبللة

والممزوجة بالتربة الرملية وتوضع فوقها الطين الجافة وفتحات ميازيب لتصريف المياه (الصورة رقم 07) و (المخطط رقم 01).

V التحصين:

يتمثل التحصين في اتخاذ الاسوار المؤمنة للمبنى وإدراج الابراج له في الاركان ويعد من الوسائل التي اهتمت إليها الإنسان منذ عهد قديم وذلك عندما نشأت المدن وزاد عمرانها وثرواتها، وبدأت تتعرض لهجمات الأعداء الذين يطمعون في السيطرة عليها أو نهب ثرواتها، فبرزت الحاجة إلى تأمينها ، فأدى ذلك إلى بناء الأسوار حول المدن لإنقاذ الجند والقادة الذين يتولون الدفاع عنها²².

ولقد اهتم المسلمون بهذه الوسيلة الدفاعية منذ العهود الأولى التي تلت الفتح الإسلامي حرصاً منهم على حماية أرواح المسلمين وممتلكاتهم، كما يعد من بين العناصر التي ظلت مواكبة لتطور الفكر الحربي بسبب تطور الفكر الدفاعي²³. فانجر عن ذلك تطورا في شكلها وأطوالها، فبدت أقل ارتفاعا عما كانت عليه من قبل، كما ظهرت بأشكال مختلفة، من المربع والمستطيل إلى الدائري أو الشبه دائري ثم الشكل المضلع²⁴.

ويبدو لنا من خلال الملاحظات الميدانية في كافة جهات الصحراء الوسطى أن الأهالي بها انتهجوا أسلوب التحصين الدفاعي لتوفير الأمن من الخوف والجوع، وهو أسلوب اقتبسه الأهالي بلا شك من جيرانهم المتاخمين في الأوطان الصحراوية الذين دأبوا على الائتمان تحت وخلف الحصون والقصبات المحصنة، ونلمس هذا التوجه العمراني بشكل واضح من خلال الإشارات التي جاءت في كتاب زهرة الآس وكتاب جذوة الاقتباس ممثلاً في الاهتمام الذي أولاه سكان المناطق الصحراوية في المغرب الإسلامي للعمارة العسكرية حينما دفعتهم الظروف الأمنية إلى اتخاذ هذه الحلول بغرض الاحتماء فيها أو من خلفها، فكانت هندسة المآثر العسكرية من قبل المرابطين في هذه الفضاءات الصحراوية هي الحل الأنسب والمحقق للغاية المرجوة، حيث أقاموا الحصون

والقصبات في عمرانهم العسكري والذي تعزز بدوره بتسوير الحواضر أيام علي بن يوسف²⁵.

فمن ذلك تبدو لنا أسوار القصبية من خلال تصميمها وشكلها الخارجي أنها معدة للتحصينات العسكرية من أجل حماية النفس والمال العام بداخلها والتي نجدها بكثرة في مختلف الاقطار، سواء كانت هذه التحصينات قلاعاً ام اسواراً للمدن او القصور، حيث تزود بأبراج ومزاغل تساعد المرابطين على مراقبة الخصم من بعيد وترصد حركاته في قدمه من خلال الأبراج العالية وضربه كهدف حين الاقتراب من المنشأة المعمارية الدفاعية، من وراء هذه الجدران المنيعة والاطمئنان على الضعفاء والنساء والأطفال والمسنين خلف الأسوار. وهي تحذو بذلك تلك التحصينات العسكرية التي ظهرت في البلاد الاسلامية في مصر والشام والمغرب²⁶

وظهرت الاسوار كوحدة بنائية لأهالي المنطقة بصفة جلية وذلك من خلال التصميم الذي أنجزت به، حيث وضعت على قاعدة بمقاس 1.30م وارتفاع بمقاس 12م وقمة تنتهي بمقاس 0.30م.

وزودت هذه الأسوار بفتحات شكلها متسع نحو الداخل وضيق نحو الخارج وتمتد على مستوى أفقي موحد، وتبعد كل فتحة عن الأخرى بمسافة تقدر بـ 01 م تقريباً. (الصورة رقم 10 الشكل رقم 02)

وتوجد في الأركان الأربعة لمبنى القصبية أبراجاً يصعد إليها عبر سلالم ذات عتبات مبنية من مادة الطين وهي مفتوحة على الساحة الأمامية المحيطة بالأسوار) (الصورة رقم 08 و09).

بنيت هذه الابراج بتصميم ذو قاعة مربعة متسعة في الاسفل وضيقة في الاعلى ويتوج البرج بشرفات ذات شكل هندسي وتصميم حربي حيث كللت بفتحات متماثلة في الشكل والقياس وظيبتها الترصد والرماية وذلك للدفاع عن الإقليم من الأخطار الوافدة إليه من بعيد.

VI الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع قصبة القصر الكبير "باجودة" بمنطقة تيديكنت الشرقية تبينت لنا مجموعة من المعطيات التي كنا نجهلها ولم تشر إليها الدراسات التي مست جوانب من المنطقة.

فجاءت هذه الدراسة لتعرفنا بالقصبات المحصنة والقصر في المناطق الصحراوية بمفهومها وبخصوصيتها المميزة لها وعلاقتها بالظروف المحيطة التي اثرت في تكوينها واعطاها النمط والخصوصية التي صارت عليها.

وقد كانت هذه الدراسة فرصة للتعريف بقصبة باجودة بمنطقة عين صالح وعن موقعها الاستراتيجي ضمن التكتل المعماري بالإقليم ودورها التاريخي والحضاري بالمنطقة.

ومن خلال هذه الدراسة فهمنا ذلك الدور الكبير الذي كان لافتنا للانتباه من خلال ما يروى في الذاكرة الشعبية ومجسد في تصميم المبنى فضلا عن الموقع الذي تقع فيه البناية.

وتظهر لنا العناصر المعمارية التي اختارها المعماري بدقة متناهية بأن هذا النوع من القصبات ينمط ضمن العمارة العسكرية التي باتت تتميز بها الاقاليم الصحراوية.

ويلاحظ ايضا من خلال ابتكار تخطيط لمبنى القصبة من حيث الشكل العام ومن حيث تفاصيل الجزئيات الداخلية قد اتى بهدف الأمن الغذائي وامن الانفس وقد اثرت في ذلك دواعي وظروف بيئية محلية .

ويلاحظ من خلال المشهد العام ايضا بأن توزيع المصمم لعمارة المبنى جاءت ممنهجة وفق دواعي الظروف الامنية والاحداث التي كانت قائمة في المنطقة حيث نجد اختيار القصبة المحصنة في موقع استراتيجي وسط ومرتفع ليساهم في عملية الترقب والترصد من جهة وتمكين سكان القصرين من مؤونة الغذاء والماء وقت نفاذها من مساكنهم ايام شدة الغزو والحصار .

وعلى العموم يستنتج من دواعي عمارة هذا النوع من القصبات بالمنطقة أنه كان لأسباب دفاعية فقد احتوى كل قصر على قصبة محصنة أو اثنتين على الأقل في

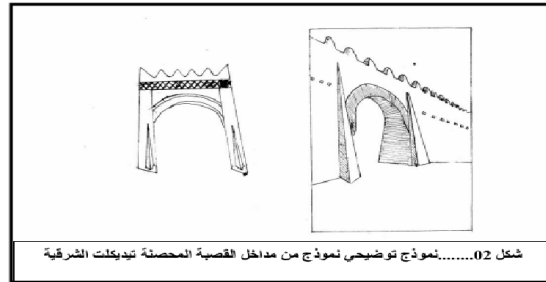
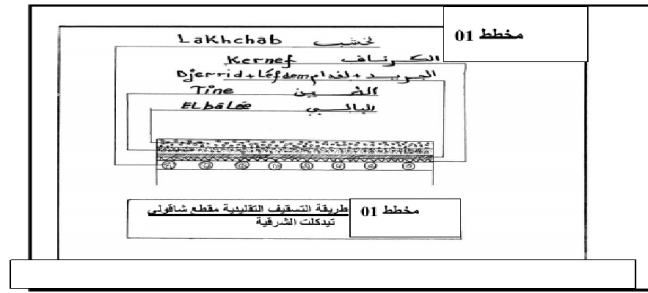
شكل تكون فيه محصنة بالأسوار العالية ومتوجة في زواياها بالأبراج وبفضاء وقائي للضربات يوجد بين السور الخارجي والسكنات ويمورد لماء الشرب، في حين أن المرافق الضرورية الأخرى تغيب في هذا التخطيط المعماري بهذا الاقليم ، ونعني بها المرافق الاجتماعية والدينية والعلمية حيث بنيت خارج اسوار القصبات المحصنة.

وأخيرا يمكن القول إن قصبة باجودة بتيديكلت الشرقية هي من العمائر الدفاعية التي حافظت في عمومها على التصميم المعماري الذي عرفته عمارة القصور والقصبات بأقاليم القورارة وتوات وتيديكلت،. وبهذه الكيفية فان عمارة القصبة تضاف إلى النمط المعماري الموحد المتمثل في عمارة وعمران القصبات المحصنة التي انتشرت بشكل لافت للانتباه في صحراء بلاد الجزائر وتحديداً في اقاليم توات الكبرى.

ملحق المقال



الصورة 01 منظر عام لقصبة باجودة وسط المدينة



الهوامش:

(1) - ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد) ، لسان العرب، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1388هـ/1968م، ص676.

² -DESPOIS. (J), le djebel amour, Presses universitaires de la France, Paris, 1957, 25 .

³ -ROBERT. (C R), L'Afrique blanche française, le Sahara française, T 02, Presses universitaires de la France, Paris, 1959,P234 .

- (4) - مزرق محمد، البيئة واثرها في توجيه العمارة المحلية (اقليم تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست نموذجا) دراسة اثرية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الاتار الاسلامية- جامعة الجزائر ، معهد الاتار، 2009/2008، ص 40.
- (5) - مزرق محمد، المرجع السابق، ص 20.
- (6) - مزرق محمد، المرجع السابق، ص 21.
- 7- للاستزادة أنظر: كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982.
- 8 -ROBERT. (C R) , Greniers domestiques et Grenier fortinner fortifiées au Sahara, le cas du Gourara, t /i .r .s. t . T x i v ,1956
- (9) - مزرق محمد، المرجع السابق، ص 21.
- (10) - وهو السوق المركزي في اقليم تيديكلت تميز بنشاطه التجاري المريح للاطلاع اكثر انظر:

Déporter, la question du Touate Sahara Algérien ,Alger-

1891, p 37

(11) - وحفرة الركب يعرف حاليا بمصلى حفرة الركب (Chapelle de Hafret Rakeb) ويقع هذا المعلم في وسط مدينة عين صالح. يتوسط مقبرة اولاد بلقاسم من جهة الغرب ومقبرة اولاد ملوك من جهة الشرق وسمي باسم حفرة الركب نسبة إلى مكان منخفض كان الحجاج يتجمعون فيه ثم يركبون جيادهم وإبلهم ويسيروا في موكب كبير يسمى " أكبار " أي القافلة الكبيرة ويتجهون نحو البلدان والحواضر التي تقع الى الشرق من الاقليم ومنها الى البقاع المقدسة.

ويعتبر المعلم من أقدم المواقع التاريخية وأبرزها بمنطقة تيديكلت ويمتد عمره إلى بداية استقرار الإنسان بالمنطقة أي إلى ما قبل القرن الخامس هجري حيث كان الموقع يمثل:

- 1 . مكان لتجمع قوافل حجاج الإقليم وهو نشاط لا يزال يحظى به إلى اليوم.
 - 2 . محطة للراحة والتزود من الكلاً والماء واستبدال ما ضعف من الجياد والإبل.
 - 3 . مكان تحط به القوافل التجارية وتتطلق منه نحو المراكز التجارية الأخرى.
- ويضاف إلى هذا النشاط الديني المعتاد بالموقع: إقامة صلاة العيدين، وصلاة الجنائز، وصلاة الاستسقاء و فدوة البلاد وهي من العوائد السائدة في اعتقاد الأهالي وذلك لفداء

الأنفس و البلاد من البلاء، حيث يقرأ القرآن ويختم من طرف القراء ويتضرعون إلى الله بالأدعية لذهاب البلاء أو التخفيف منه، وتحضر النسوة الطعام ويقدم صدقة في سبيل الله (12) – TILLION CAPITAINE-COMMANDANT, LA CONQUETE DES OASIS SAHARIENNES, OPERATIONS AU TIDIKELT, AU GOURAR,AU TOUAT, DANS LA ZOUSFANA ET DANS LA SAOURA EN 1900 ET 1901, Librairie militaire Henri CHARLES-LAVAUZELLE PARIS, p18-19

(13) – Déporter Victor Benjamin, Sahara algérien, Gourara, Touat, Tidikelt Caravane et transsaharien, Librairie algérienne et coloniale, paris 1891, p69

(14) – فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص159.

(15) – من ارشيف الديوان الوطني للحظيرة الثقافية الاهقار، المديرية الفرعية لمراقبة وحماية التيديكلت بعين صالح.

(16) – لقاء مع اعيان المنطقة عام 1995 بعين صالح وقراها في بحث حول تاريخ المنطقة (الحاج بن عبد السلام احمد (القايد)، الحاج التومي سعيدان، الحاج امبارك بلحاج...)

(17) – لقاء مع اعيان المنطقة عام 1995 بعين صالح وقراها في بحث حول تاريخ المنطقة منهم (الحاج بن عبد السلام احمد (القايد)، الحاج التومي سعيدان، الحاج امبارك بلحاج...)

(18) – TILLION, LA CONQUETE DES OASIS SAHARIENNES, opcit, p18-19

(19) – من ارشيف الديوان الوطني للحظيرة الثقافية الاهقار، مصدر سابق

(20) – Marçais.G, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphiques, paris 1975,p443

(21) – Golvin.L, Recherche archeologique à la Qala de banu-Hammad, Maison neuve, Paris 1965,p103

(22) – بيتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهيرالكرمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1980، ص 139.

(23) – بيج بيرتون، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة عبد الحميد يونس وإبراهيم خورشيد وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981، ص 15.

(24) – علي حملاوي، حملاوي(علي)، نماذج من قصور منطقة الأعواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 274.

(25) – عبد العزيز بن عبد الله، (تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث)، اللسان العربي-مجلة يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي جامعة الدول العربية-المجلد 07، الجزء 01، يناير 1970م/ دو القعدة 1389هـ، الرباط- المغرب.

(26) – ابو صالح الالفي، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارس، الطبعة الثانية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت 1975، ص 123.

قائمة المصادر والمراجع:

- 01- الديوان الوطني للحظيرة الثقافية الاهقار (O.N.P.C.A)، المديرية الفرعية لمراقبة وحماية التيديكلت بعين صالح، الارشيف.
- 02- الذاكرة الجماعية لإقليم تيديكلت الشرقية، مقابلات مباشرة مع اعيان منطقة عين صالح وقراها في بحث حول تاريخ المنطقة سنة 1995م.
- 03- الالفي (ابو صالح)، الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارس، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1975.
- 04- بن عبد الله (عبد العزيز)، (تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث)، اللسان العربي-مجلة يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي جامعة الدول العربية-المجلد 07، الجزء 01، يناير 1970م/ دو القعدة 1389هـ، الرباط-المغرب.

- 05- بيتر (فارب)، بنو الإنسان، ترجمة زهيرالكرمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1980.
- 06- بيج (بيرتون)، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة عبد الحميد يونس وإبراهيم خورشيد وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981.
- 07- حملاوي(علي)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.274.
- 08- فرج (محمود فرج)، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
- 09- مزراق محمد، البيئة وأثرها في توجيه العمارة المحلية (إقليم تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست نموذجا) دراسة أثرية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية- جامعة الجزائر ، معهد الآثار، 2009/2008.
- 10- كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982.

- 01- DEPORTER VICTOR BENJAMIN, SAHARA ALGERIEN, GOURARA, TOUAT, TIDIKELT, CARAVANE ET TRANSSAHARIEN, LIBRAIRIE ALGERIENNE ET COLONIALE, PARIS 1891.
- 02- DEPORTER, LA QUESTION DU TOUATE SAHARA ALGERIEN ,ALGER- 1891.
- 03- DESPOIS. (J), le djebel amour, Presses universitaires de la France, Paris, 1957.
- 04- MARÇAIS.G, L'ARCHITECTURE MUSULMANE D'OCCIDENT, ARTS ET METIERS GRAPHIQUES, PARIS 1975.
- 05- GOLVIN.L, RECHERCHE ARCHEOLOGIQUE A LA QALA DE BANU-HAMMAD, MAISON NEUVE, PARIS 1965.

- 06-TILLION CAPITAINE-COMMANDANT, LA CONQUETE DES OASIS SAHARIENNES, OPERATIONS AU TIDIKELT, AU GOURAR,AU TOUAT, DANS LA ZOUSFANA ET DANS LA SAOURA EN 1900 ET 1901, LIBRAIRIE MILITAIRE HENRI CHARLES-LAVAUZELLE PARIS.
- 07-ROBERT. (C R), L'Afrique blanche française, le Sahara française, T 02, Presses universitaires de la France, Paris, 1959.
- 08-ROBERT. (C R) , Greniers domestiques et Grenier fortinner fortifies au Sahara, le cas du Gourara, t /i .r .s. t . T x i v ,1956.